قراءة في ثبت أسماء وعناوين بعض كتب الطب و الفلسفة

أبو بكر محمد بن زكريا الرازي أنموذجا

(250 هـ/864 م - 311هـ/ 923م)

د. رمضاني حسين/ أستاذ محاضر أ

مخبر الدراسات الفلسفية
وقضايا الانسان والمجتمع في الجزائر
جامعة ابن خلدون – الجزائر

Abstract : In this article, we are dealing with intellectual and philosophical issues which is renovating the scientific and philosophical heritage in the Islamic Civilization, and we are trying to shed the light on the value pf translations and biographies that were written by Muslim historians, in order to introduce the philosophy and Muslim pioneers in the ancient history, as we are trying to investigate the truth about most know medical and philosophical books that were left by Muslim philosophers. For that reason we have chosen "Abu Bakr el-Razi" as one of the most known medical figures in the Arabic civilization, who his books still interest the western world until these days. We try in this study to highlight the most known published studies about his name bikes and works, especially the imperial study of "The latter od El-Bayrouni your Ibn Sina about some books of Abu Bakr Mohamed Ben Zakaria El-Razi"

Key Words: Civilization- Wisdom- Practical Philosophy- medical Sciences-.

ملخص: تتناول هذه المقالة قضية فكرية وفلسفية، تتعلق بمشكلة احياء التراث العلمي والفلسفي في الحضارة الاسلامية. وتحاول أن تسلط الضوء على قيمة التراجم والسير، التي خلفها المؤرخون المسلمون بخصوص ابراز دور الشخصيات العلمية في الرقي الحضاري للاسلام.

كما تحاول مقالتنا الوقوف على عدة نقاط أخرى تتعلق بالبحث في هذه التراجم، والاستقصاء الحقائق، خاصة فيما تعلق بعناوين الكتب الطبيبة والفلسفية التي خلفها لنا علماء وفلاسفة السلام. وقد اخترنا أنموذج الطبيب أبو بكر الرازي كأحد الشخصيات الطبيبة والفلسفية الهامة في تاريخ الحضارة الغربية، والذي كانت له مؤلفات جليلة لا تزال محل اهتمام العالم الغربي المعاصر، هذا وقد حاولنا عرض بعض الدراسات البيليوغرافية التي نشرت بخصوص التحقيق في ترتيب وضبط أسماء وعناوين كتبه ومؤلفاته. والاعتماد على الدراسات المصدرية كثبت ابن نديم في الفهرست، أو رسائل البيروني بشأن احصاء كتب ورسائل أبو بكر الرازي.

الكلمات المفتاحية: الحضارة، الحكمة، الفلسفة العملية، العلوم الطبية، الرازي

تقديم: لم يك من شأن لفظ حكمة أن يثير في نفوس الناس المخاوف، والتي قد توحي به لفظة فلسفة مثلا. فإذا ما حاولنا مبدئيا تقليب صفحات التاريخ في الحضارة الاسلامية. لتفاجئنا بالوضع المتردي الذي صارت عليه الامة الاسلامية في الزمن الحاضر. بعدما تراجع وتقهقر الدور الريادي للتفكير الفلسفي الحر، والذي قاده أباء حركة الاعتزال في بداية الأمر. وقد كان المعتزلة بحق أباء حركة التنوير الثقافي في العالم الاسلامي ورواد العقل والعقلانية. غير أن هذه الحركة الدينية التي بدأت كلامية و انتهت فلسفية عانت كثيرا بفعل عدة أسباب لا حصر لها، فتقهقر دورها بسبب حنق المتعصبين على المشتغلين بمسائل الفلسفة والحكمة اليونانية. حيث تم محاربة أهلها تحت غطاء الذرائع السياسية والدينية والاجتماعية، ووجهت لهم الضربات القاصمة مرة بعد مرة، حتى خمدت روح التفكير المبدع في العالم الاسلامي برمته، خاصة بعد اضطهاد حركة الاعتزال.

في حين بقى لفظ (حكمة) بالموازاة مع هذه النظرة المرتابة اتجاه الفلسفة الاسلامية (المعتزلية)، دارجا ومتداولا في مجالس رجال الدين، وفي خطب الأدباء وعلماء المسلمين. وكان وسم حكيم يطلق على كل من كان يشتغل بمسائل المعرفة العلمية والعملية، ثم إن المعجم اللغوي العربي يثبت لنا أن الجذر اللغوي (ح. ك. م) أصيل في اللسان، مقبول من حيث الاستئناس بين الأفهام وفي بناء الكلام عند العرب. ويمكننا من خلال هذا التقديم الاجرائي لمعنى كلمة حكمة عند العرب المسلمين، أن نعرج بنوع من التوصيف الدلالي على عدة معاني للفظ حكيم، من خلال عرض أنموذج شخصية علمية فذة في تاريخ الطب والفلسفة، آلا وهو الطبيب الفيلسوف أبو بكر محمد بن زكريا الرازي المعروف بـ : جالينوس العرب. ومحاولة إفراد ترجمة تحليلية نقدية تشمل بعض منجزاته الخالدة. والوقوف على مدى صحة الرأي القائل بأهمية العودة الى التراث واستنطاق مكنوناته من أجل إحياء الآثار العلمية التي خلفها علماؤنا وفلاسفتنا المسلمون.

إن تسليط الضوء على بعض جوانب سيرته في مجال الطب والفلسفة، هو الطريق الذي نحبذ أن نسلكه من اجل أن نقف على مخرجات بعض الدراسات العربية التي ساهمت في نقد تلك التراجم التي افردت لحياة الرازي وجملة ما خلفه من أعمال علمية جليلة. بحيث نجعلها مدخلا لما ارتأينا أن نشير اليه في البداية، كقضية جوهرية تعبر عن حالة الوعي المتردي وأزمة الفكر العربي الاسلامي المعاصر، ويكفي أن نعترف ها هنا بأن منجزات الرازي الطبيب، كانت تعبر عن واقع الانفتاح على تجارب ومعارف الانسانية. رغم ما نلاحظه من تضارب في المواقف والآراء حول مروق الطبيب الفيلسوف في بعض آرائه الفلسفية، عن أيقونات الخطاب الديني الأصولي، وقد أثير حول مواقفه الفلسفية كثير من النقاشات المحتدمة، و أقيمت بشأنها المناظرات المطولة.

العرض:

يطلق لفظ فلسفة (philosophie) (□□□□□□□□□□) في مجالس العلم والمعرفة على كل موضوع يراد به البحث في

الحقائق القصوى، ويشار إليه أيضا بين شعب الفكر باعتباره تأملا في الوجود والمعرفة، وقد افترقت الفرق الكلامية في نسبة جليل موضوعاتها ودقيق مسائلها. فأفردوا بشأنها المناظرات والجدالات. ويطلق اسم فيلسوف على كل من عرف عنه اشتغاله بمسائل الطبيعيات (دقيق الكلام)، وجملة ما كان من المسائل الثيولوجيا والماورائيات (جليل الكلام). كما أطلقت كنية فيلسوف أيضا على كل من خاض في مباحث العلم والمعرفة "الفلسفة أولها محبة العلوم، وأوسطها معرفة حقائق الموجودات بحسب الطاقة الانسانية، واخرها القول والعمل بما يو افق العلم[1] .

لقد شهدت الحضارة الاسلامية في المرحلة الاولى بفعل حرية التفكير، أكبر عملية انتقال للعلوم والآداب والفلسفات في التاريخ الانساني. إذ يمكن اعتبار هذ العملية بالعامل الايجابي الذي ساهم في تنوير الفكر العربي الاسلامي آنذاك، خصوصا إذا ما نظرنا باستبصار الى المراحل التكوينية لنشأة التفكير الفلسفي في الاسلام، وتحولات العقل العربي في التاريخ. وقد ارتأينا في هذا الصدد رد هذه التحولات لعامل الانفتاح على ثقافات الأمم. والى جملة العوامل الثقافية التي ساهمت بالفعل في دفع عجلة الرقي الحضاري، في مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية لدى المسلمين. ومن هذا المنطلق حاولنا الاستئناس بجملة من الدراسات العربية القديمة والحديثة، والتي افردت في باب الدعوة لإحياء التراث العلمي في الاسلام، كما أننا اخترنا على سبيل المثال لا الحصر بعض الدراسات العربية الرائدة، كي نتبين من خلالها أهمية احصاء المؤلفات والكتب التي تزخر بها مصادر التراجم والسير في التاريخ الاسلامي، والتي لا تزال تزخر بمخزون هائل من المادة المعرفية القيمة، والتي تؤهل العقل العربي في رأينا لإعادة احياء مشاريع نقل وترجمة علوم في الحضارة الاسلامية.

لذا فمن واجبنا افراد مثل هذه القراءات التحليلية، والتي تحاول أن تهتم بقضايا إحياء التراث العلمي والفلسفي. من خلال نفض غبار النسيان والاجحاف في حق العلماء، واعادة احياء تراثهم بتلميع صورهم ضمن دائرة المعارف الانسانية. ومن ثم التحقيق في الدواعي التي أدت الى تطور أمتنا الاسلامية على عهد الطبيب الرازي و أقر انه. إذ وبمجرد إلقاء نظرة فاحصة لمكونات العلاقة الوظيفية التي تربط كل من الحكمة والفلسفة والعلم، والتي يمكن اختزالها في موضوع علم الطب وصناعته، باعتباره مجال اختصاصه الأول. و أنه يعتبر من أبرز أطباء الروحانيين (النفسانيين) الذين اعتقدوا بأن أصول صناعة التطبب تعود بالأساس لخاصية انسانية ذات بعد كوني، تقوم على أساس الالتزام بقيم الأخلاق العملية، والتي دعت اليها حاجة الانسان في البداية، وضرورة البحث عن السعادة من خلال افراد العلاجات الجسمانية والروحانية، والأخذ بالتداوي والتو افق مع الطبيعة.

---

[1] - https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=394494.
تاريخ الاطلاع: الجمعة 19 نوفمبر 2021، الساعة 22:14، تيارت، الجزائر

أما في باب وصف أخلاق الطبيب الرازي، ومعنى أن يكون مثالا للطبيب الحكيم، أو الفيلسوف الحكيم.. فقد انتهى الباحثون في السيروالتراجم عند المسلمين، إلى اعتبار علم الطب أبرز معارف الحكمة الثلاثة الكبرى. والتي يتوجب على المرء اكتسابها بالموازاة مع علوم الدين وعلم النجوم. إذ وبالعودة الى لفظ حكمة في اللغة، فإنه يعني اسما للعلم المتقن والعمل به. وأن ضده كل ما يقصد به: السفه، أي: العمل على خلاف موجب العقل؛ وأن من وجوه الحكمة العلم بحقائق الأمور، وضده الجهل. وفي سياق نفسه اصطلح ثقات السيروالتراجم على عدة معاني أخرى تخص لفظ حكمة، إذ نقتبس عبارة وجيزة للإمام الراغب الاصفهاني، يقول فيها: "الحكمة إصابة الحق بالعلم والعقل، فالحكمة من الله تعالى معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام، ومن الإنسان معرفة الموجودات وفعل الخيرات"[1].

والحكيم هو المجرب الحاذق لأمور الحياة، وهو فيما يقصد به في بعض المعاجم والقواميس "هو العاقل الخبير الماهر، واللفظ مشتق من بعض الكلم الآرامي نسبة للجذر (hkm)؛ والذي درج في البيان واستعمله اللسان العربي، كمعنى يقصد به: حاكم أي: قاض ووال. ولفظ حكيم تطلق بمعنى طبيب"[2]. على هذا الأساس سنحاول الاستناد على نتائج بعض المصادر التراثية، والتي أفردت بشأن ترتيب قائمة عناوين كتب هذا الطبيب الحكيم. وسنستعرض بعض المقتطفات من تراجم السير التي تناولت أهم المحطات العلمية والفلسفية لهذا الطبيب الفيلسوف. ولعل الدراسة التي أفردها الباحث المصري عبد اللطيف العبد، والموسومة بأصول الفكر الفلسفي عند أبي بكر الرازي، والصادرة عن دار النهضة، بجمهورية مصر العربية، عام 1972. خير دليل على أهمية تلك الدراسات التي تناولت آراء هذه الشخصية العلمية الفذة في تاريخ الفلسفة والعلوم[3]

1- عناوين مؤلفات الرازي، بين الاحصاء والترتيب:

لا تقتصر قراءتنا فقط على سرد عناوين الكتب الطبية النظرية، والتي قام بتأليفها الطبيب الفيلسوف الرازي طوال مساره العلمي والمهني، بل سنحاول من خلال عرض بعض عناوين كتبه ربط مضامين سيرته والقيم التي يمكن أن نستشفها من عرض تلك المؤلفات وردها الى جملة من المقومات الحضارية في الاسلام. والتي يبدوا انها ساهمت وبشكل عميق في انبجاس فكر أنواري تميز بالانفتاح على البعد الإنساني والكوني للحضارة. فقد تعتبر مثلا الدراسة العلمية التي قام بنشرها الدكتور خالد حربي، والتي تحمل عنوان: (سر صناعة الطب لأبي بكر محمد

1 - محمد العربي الخطابي، موسوعة التراث الفكري العربي الإسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ج 01، ط 01، 1998، ص 47.

2- قال الالوسي: في (بلوغ الأرب) (حكام العرب في الجاهلية، الحاكم منفذ الحكم كالحكم بحركة، جمعه حكام. وحكام العرب علمائهم الذين كانوا يحكمون بينهم إذ تشاجروا في الفضل والمجد وعلو الحسب والنسب، وغير ذلك من الأمور التي كانت تقع بينهم). ينظر: مصطفى عبد الرزاق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، دط، القاهرة، 1944، ص 106 - 107.

3 - محمد عبد اللطيف العبد، أصول الفكر الفلسفي عند أبي بكر الرازي، دار النهضة، د ط، القاهرة، مصر، 1972،، ص 17.

بن زكريا الرازي)، مثالا واضحا عن تلك الدراسات العلمية الرائدة في مجال احياء العلوم الطبية في الاسلام. والتي يبين لنا فيها بوضوح "مدى أهمية كتب الرازي بالنسبة لتاريخ العلم العربي والعالمي، فضلا عن الاهتمام الغربي الحالي بدراسة مخطوطات أئمة الطب العربي والاسلامي، بغية الوقوف على أسرار المعالجة بالأعشاب والنباتات الطبية التي عوّل عليها أطباء الحضارة العربية الاسلامية"[1].

ولعل من أهم مؤلفات الرازي الطبيب في مجالي العلوم والنظر الفلسفي، وحسب ما أورده كلا من المستشرقان سلمون بينس (Salomone - Pines)، والاستاذ بول كراوس (Paul Kraus) (1904 - 1944م)* واللذان ضمنا آراء الرازي الفلسفية في كتاب عنوانه: (شرح العلم الالهي)، وقالوا بشأنه بأنه ذكر ثبت له في ترجمة كان قد أفردها المتكلم ناصر خسرو قبادياني (1004-1088م)، في كتابه: (زاد المسافرين). وهو من علماء الحركة الباطنية الاسماعيلية التي تطرقت لفلسفة الطبيب الرازي، وعارضت كثير من القضايا الفلسفية في مذهبه، خاصة فيما تعلق بمسألة أخلاق اللذة. وله ردود كثيرة في باب نقد الآراء المفردة في باب أخلاق اللذة عند الرازي الذي اعتبر" اللذة عبارة عن خلاص تام من الألم"[2].

كما اعتمد المستشرقان السالف ذكرهما على هذا المصدر الاسماعيلي، في بيان ما يرجح في ذكر آراء الطبيب الرازي، وجملة قوله في فلسفة أخلاق اللذة. غير أن هناك مصادر أخرى أشارت بدورها الى أهمية تلك الآراء الفلسفية، والتي وردت مقتطفات منها في كتاب: (أعلام النبوة). وهو للمتكلم أبو حاتم الرازي الإسماعيلي (ت 322هـ)، وإليه يُنسب "كتاب الزينة". حيث يذكر المستشرق سلمون بينس في هذا السياق، أن التاريخ يحفظ لنا أربعة إحصاءات مشهورة، تناول أصحابها ثبتا بقائمة أسماء وعناوين كتب الرازي أهمها ثبت ابن النديم محمد بن إسحاق المعتزلي عاش (384هـ)- (994 م)، وفي ثبت موفق الدين ابن أبي أصيبعة (600هـ - 1203م)، صاحب كتاب: (عيون الأنباء في طبقات الأطباء)، ونجد الاحصاء الثالث في ثبت تراجم جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القِفْطِي (568هـ/1172م - 646هـ/1248م)، صاحب كتاب: (تاريخ الحكماء)، وهو طبيب مؤرخ لقبه الأمراء بالوزير الاكرم. و أيضا هناك رسالة لأبي الرَّيْحَانِ محمد بْنُ أحمد البِيرُونِيّ (362هـ - 973م/ 440هـ- 1048م) كان قد كتبها

---

[1] -خالد حربي، سر صناعة الطب لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي، دار الثقافة العلمية، الاسكندرية، مصر، دط، دت، ص 09.

* - "سافر كراوس الى القدس ليمضي عطلة الصيف. لكنه لما عاد في الاسبوع الأول من سبتمبر لاستئناف العام الدراسي الجديد، وجدته في حالة اضطراب نفسي غريب، وقد استولت عليه ألوان من الوساوس، وبدت عليه مظاهر العصبية الشديدة في أقواله، وسمات وجهه وتحركاته". ينظر: عبد الرحمن بدوي، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 03، 1993، ص 466.

[2] - الرازي أبو بك، رسائل فلسفية، المصدر السابق، ص 148 - 149.

لشيخ الفلاسفة علي ابن سينا تضمن متنها احصاء لعناوين كتب الرازي الطبيب*.

وبغية الإجابة عن أسئلة التراث: وعن سؤالنا المؤرق في الحضارة، ماذا بقي لنا من تراث الأوليين لنستفيد منه في عصرنا الراهن؟ !، نقول بأن مجرد تفحص هذه التراجم التي خص بها المترجمون والمؤرخون العرب والمسلمين، علمائنا الكرام. والتي تكونت حسب رأينا ضمن المرجعيات الموسوعية والثقافية، التي نشأت بفعل عمليات الجمع والترتيب لعشرات الآلاف من أسماء وعناوين الكتب، ورسائل مختلف العلوم والفلسفات. والتي نقلت معها مئات صنوف الفنون والأدب. ولهذا فإننا لا نستثني الاسهامات الجليلة لأي من هذه التراجم والسير، واستقصاء أهمية ترتيب عناوين كتبه، وتوقيف ذلك الترتيب على ما ورد في السيرة الفلسفية. ففي البداية نخص بالذكر، رسالة البيروني، وبيان ثبت الامام ابن أبي أصيبعة في كتاب: (طبقات الأطباء)، وبدرجة أقل ثبت بقائمة عناوين لكتب الطبيب في كتاب: (وَفَيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان)، ينسب لشمس الدين بن خَلِّكَان (608 هـ/1211م-681 هـ/1282م). ويقوم منهج التصنيف والترتيب عند هؤلاء فيما يخص ببيليوغر افية عناوين كتب الرازي الطبيب. على أساس مزدوج يفصل بين أعمال الرازي الطبية والأعمال الأخرى الاخلاقية، والالهية. ويمكن الاعتماد أيضا على ترجمة أبو الريحان البيروني صاحب كتاب: (ما للهند من مقولة مرذولة أو مبتذلة) في بيان هذا الاحصاء الثنائي، من خلال ما تم الاشارة اليه في نظرية مبادئ الكيان[1].

لقد كان الرازي من أشهر أطباء العرب المسلمين أي نعم، ولكنه من فلاسفة الاسلام العقلانيين، ومن نقاد اللاهوت والدين. والرأي عند البيروني لم يخرج عن طور كونه من الفلاسفة الذين تمسكوا بمو اقفهم النقدية اتجاه دور العقل ومسائل التفكير الحر. وقد أثارت آرائه حول حدوث العالم وفساد الكون جدلا بين الأوساط الفلسفية حينها. رغم أنه كان في الوقت نفسه ممن قالوا بمبدأ الوجود الموجود على أساس الضرورة الاعتباطية، الا أنه آمن بفكرة الوجود المتقدم، والمتضمن معناه في نظريته الموسومة بـ: قدم المبادئ الأولى للكون.

من خلال هذا يتبين لنا كيف أن الرازي كان مجددا في مجال فلسفة الإلهيات الإسلامية، خاصة فيما تعلق بتصورات فيض الخير المحض، ومسألة حدوث الاشياء والموجودات حدوثا عليا (السببية) يستدل عليه بالعقل من باب الشمولية، التي لا تستثنى في البحث عنها التجربة الانسانية بأي حال من الأحوال. وربما بالاستناد إلى بعض المصادر الاسلامية، يمكننا أن نؤيد هذا الطرح، إذ يرى الباحث مصطفى موالدي، أن أهم الاحصاءات المتعلقة بثبت عناوين كتب الرازي كتاب: (الفهرست) لابن النديم (ت 380هـ / 990م)، والذي يعتبر أول من عمل

---

* – يعتبر البيروني من أبرز علماء الإسلام الذين اهتموا بالتراث الهندي، فقد انتقد المنهج الذي اتبعه الهنود، لأنه على رأيه غير علمي، فلم يبعد علمهم عن الأوهام. واستطاع بأسلوبه أن يبين (أحسن بيان) وجوه التو افق بين الفلسفة الفيثاغورية والأفلاطونية، والحكمة الهندية، والكثير من مبادئ الصوفية. ينظر: طوقان قدري حافظ، مقام العقل عند العرب، دار القدس للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2002، ص 140.

[1] - عزيز العظمة، أبو بكر الرازي، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط 01، 2001.، ص 93.

على وضع قائمة لكتب ومؤلفات أبي بكر بن زكريا الرازي، و أنه أبرز من ترجم لسيرة هذا العالم، انطلاقا من سرد إحصائي شامل لعناوين مؤلفاته. والتي يقول بخصوصها بأن الرازي الطبيب هو من ألفها.

وإذ يتبين من فهرست ابن النديم حسب الدكتور موالدي، أثر المعالم الكبرى لنمط التفكير الفلسفي عند الرازي. كما يذهب ابن النديم في هذا السياق إلى القول، بأن قائمة كتب الرازي التي أوردها في كتابه، قد جاءت استنادا إلى ترتيب الرازي نفسه لهذه الكتب والمؤلفات. لهذا يعتمد الأستاذ موالدي في دراسته على عدة منطلقات إجرائية، من بينها اعتماده على هذه القائمة دون غيرها، والانطلاق من مسلمة أولية تقتضي التسليم بصحتها. وبالتالي يحاول مبدئيا أن يؤكد للقارئ ضرورة اتباع ترتيبها والنظر في ثبت توصيفها، لأنها قريبة إلى تحديد ما كان يريد الرازي نفسه أن يكون عليه ثبت كتبه لحظة همّ بتأليفها وتدوينها. حيث يذكر على سبيل المثال العبارة الآتية: "أما في باب العلم فمن قِبل أنّا لو لم تكن عندنا منه إلا القوة على تأليف مثل هذا الكتاب، لكان ذلك مانعا عن أن يمحى عنا اسم الفلسفة فضلا عن مثل كتابنا (في البرهان)، و(في العلم الالهي)، و(في الطب الروحاني)؛ وكتابنا (في المدخل الى العلم الطبيعي) الموسوم بـ: (سمع الكيان)، ومقالتنا (في الزمان والمكان والمدة والدهر والخلاء)"[1].

ويمكن أيضا أن نلخص بشكل عابر أهم المسائل التي تناولها الرازي في هذه المؤلفات من خلال ما ورد عند مؤرخي السير والتراجم، وتشكل مسالة حدوث العالم وقدمه أبرز تلك المسائل التي أحاطها بكثير من المناقشات تضمنتها رسائله الفلسفية. فنظريته الميتافيزيقية التي تعنى بإثبات وجود قدماء خمسة، المتمثلة في الواحد، النفس الكلية، المادة، الزمان، المكان. كانت بمثابة نقد موجه لتجاوز أطر المعرفة الوظيفية لمنظومات التصورات والمفاهيم العقلية. و إفراد مثل هذه الرؤى الفلسفية في محفل البحث عن الأسس العقلية لنظرية التوحيد وفقه أصول الدين، لا ينم الا على رؤية استشرافية هادفة، ترنو لإعادة تشكيل جملة العلاقات الانطولوجية التي ينتظم وفقها سؤال الوجود والمعرفة.

ذلك أن الحقيقة الفلسفية تقتضي أن يساهم العقل الفطري باستعمال مبادئ الكيان، في إعادة نقد تلك العلاقة الوظيفية الرابطة بين أزلية القدم و أبدية الحدوث. من خلال ما يسمى رد الصفة الى الموصوف وليس العكس، فالموجد أوجد القدم، وهو موصوف به. وليس كل قدم له موصوف بعينه، إذ أن الخالق أزلي بالماهية، و أبدي بالجوهر، وليس قديما بأي معنى ما، الا من جهة كون صفة القدم هي صفة مضافة لا غير. وهذه الرؤية النقدية لمفهوم القدم والحدوث تنفتح على أفق الحقيقة الشاملة التي تنشدها تصوراتنا حول حقيقة الوجود برمته.

---

[1] - الرازي أبو بكر، رسائل فلسفية (مضاف اليها قطعا من كتبه المفقودة)، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 05 1982،، ص 108 - 109.

وحسب الدراسة السالف ذكرها فإن ثبت ابن النديم في الفهرست، يضع الطبيب الرازي في جملة علماء الطب والموسيقى قبل كل شيء، حيث يقول: " وقد استقصيت ذكره في اخبار الطب، وكان يرى حقيقة الصنعة، وقد ألف في ذلك كتبا كثيرة، فمنها: كتاب يحتوي على اثني عشر كتابا وهي: كتاب (المدخل التعليمي) وكتاب (المدخل البرهاني) وكتاب (الأبيات)، وكتاب (التدبير)، كتاب (الحجر)، كتاب (الأكسير)، كتاب (شرف الصناعة)، كتاب (الترتيب)، كتاب آخر بصيغة الجمع (التدابير)، كتاب (نكت الرموز)، كتاب (المحبة)، كتاب (الحيل)"[1].

وله أيضا كتب في الفلسفة والعلم الطبيعي، حيث ألف كتابا بعنوان: (كتاب أنابو الى فورفوريوس في شرح مذهب أرسطو طاليس في العلم الالهي)، وهو يتعلق بكتاب مفقود لفورفوريوس الصوري (Porphyre de Tyr) (233 - 304م) في اللاتينية يسمى (أبامون). والذي يفترض حسب ابن النديم أن يكون يامبليخوس (Jamblique) (245م-325م)، قد استتر وراء هذا الاسم تجنبا لاضطهاد رجال الدين، الذين أثار يامبليخوس الشكوك حول شعائرهم وكهانتهم. وهذا الأمر قد اشار اليه كل من بول كراوس في تحقيقه لرسائل الرازي الفلسفية، وسلمون بينس هو الآخر أشار في هذا الصدد الى هذه الكتب في دراسته المفردة في مذهب الذرة عند فلاسفة الاسلام. بالإضافة إلى ذلك فقد وردت أيضا انشغالات كثيرة حول تعدد عناوين بعض كتبه الطبيعية والالهية، ومن تلك العناوين التي أثارت جدلا واسعا حول نسبة كتاب: (العلم الإلهي)، خاصة إذا ما تابعنا التسلسل المنهجي المتبع في فهارس المؤرخين الأوائل كابن النديم والبيروني وغيرهم، فعلى سبيل المثال قولهم في كتاب (الحاصل في العلم الإلهي) أو (العلم الإلهي الكبير) أو كتاب (الصغير في العلم الإلهي)[2].

ولسنا نعلم مبتغى ذلك التعدد، ولما وجد هذا الاختلاف في عنوان كتاب الرازي (العلم الالهي)، إذ لا يمكن الجزم بتاتا، إن كنا نعتبره كتابا واحدا أو هو عدة كتب لموضوع واحد. وبالتالي فإننا نرى أنه من الضروري إفراد قراءات و افية لمسألة إحصاء وتحقيق مؤلفات الرازي. إذ وبالعودة مرة أخرى إلى ترتيب ابن النديم، نكتشف أن صاحب الفهرست، صنف الرازي ضمن خانة علماء الفلاسفة، الذين ابتكروا لأنفسهم مذهبا فلسفيا خاصا بهم، وأن كثيرا من مناحيه الميتافيزيقية كانت محض هرطقة. حيث ذكر ابن النديم في هذا السياق المنكر عن الطبيب

---

[1] - يقول ابن النديم أيضا: وله رسائل أخرى في الصنعة: كتاب (الأسرار)، كتاب (سر الأسرار)، كتاب (التبويب)، كتاب (رسالة الخاصة)، كتاب (الحجر الأصفر)، كتاب (رسائل الملوك)، كتاب (الرد على الكندي في رده على الصناعة). ينظر: ابن النديم، الفهرست، المرجع السابق، ص 504.

[2] - يقول كراوس: (لم يصل إلينا شيء من تلك المصنفات عامة ومن (كتاب العلم الإلهي الكبير) خاصة رغم ما كان له من شأن كبير في تاريخ الفلسفة الإسلامية. حتى إن كثيرا من مفكري الإسلام رأوا من أن واجبهم، أن يردوا عليه، منهم ابو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود البلخي الكعبي رئيس معتزلة بغداد (ت 319)، وصاحب كتاب (فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة). كان معاصرا للرازي وألف عدة نقوض على كتاب العلم الإلهي، تحدى الرازي الى الرد عليها. ينظر: الرازي، رسائل فلسفية، المصدر السابق، ص، 167. و أيضاً: سلمون بينس، مذهب الذرة، المرجع السابق، ص 84 - 85.

المتأدب والفيلسوف أن من الأسباب التي دعت إلى ذلك مو اقفه المتناقضة، وعدم فهمه لخبايا بعض المسائل الفلسفية المرتبطة بالإلهيات. رغم أنه معترف له بالعظمة والشرف، في مسائل كثيرة تخص فلسفة الأخلاق الطبية وعلوم الكيمياء والحيل. "و أنه كان قريبا جدا من الفلسفة اليونانية، وخاصة في مجال الأخلاق، أكثر منه الى شيء آخر. فبالكاد يعتبر الرازي فيلسوفا للأخلاق الطبيعية[1].

بالإضافة إلى ذلك، يقر ابن النديم أن الرازي لم يكتفي بامتهان الطب او التدريس والتعليم فقط، بل اهتم كذلك بجانب آخر لا يقل أهمية عن هذه الجو انب وهو جانب التأليف. فكان الرازي مُكثرًا من التأليف وتدوين المعلومات وكتابة الكتب الطبية، حتى أن مؤلفاته كثيرة جداً في هذا المجال، وما نجد ذكرها في تصنيف خاص كان وضعه البيروني لمؤلفات الرازي[2]. ولكن يبقى علينا ان لا ننكر جانبا آخر من موقفه النقدي هذا، والذي يبدوا انه يعنى أيضا بإعطاء دور ريادي لعمليات النقد المنهجي في الفكر الفلسفي الاسلامي. من أجل ترصين أسس ثابتة لحكمة فلسفية ذات طابع انساني، منفتح على دو ائر التفكير العقلاني الحر. وهو الأمر الذي لا يستثني على الإطلاق أيقونة الإيمان بأن الباري (الله) متقدم على العالم تقدما ذاتيا لا محال، على غرار ما أفاد به أو ائل العلماء من المتكلمين والفلاسفة، في باب مبحث التوحيد في الاسلام، وإن كانوا فيه قد استعملوا ألفاظا دينية لبناء نظرياتهم الفلسفية على حد تعبير سلمون بينس[3].

ورغم ابن النديم صاحب الفهرست له فضل كبير في إيراد ثبت قائمة عناوين مؤلفات الرازي، غير أنه لم يكن الوحيد الذي وثق لنا السيرة الفلسفية والطبية لهذه الشخصية الفريدة. فمن المؤرخين الإسلاميين الذين كان لهم الفضل أيضا في إبراز شخصية الطبيب الرازي عبر ترتيب قو ائم كتبه، وقد ألفها مؤرخ الهند والسند المشهور أبو الريحان محمد الخوارزمي البيروني. والذي ذكر في أحد مؤلفاته، أنه كتب كتابا كان قد أوصى صاحبا له بتأليفه لحاجة ما، اقتضت أن يطلبها البيروني من الرازي. وهذه الرو اية التي وردت عند الأستاذ الدكتور جزيل عبد الجبار الجومرد، والتي استقاها بدوره من أقوال البيروني نفسه. تؤكد لنا المناخ الذي كانت تتبلور فيه تلك البراديغمات المعرفية بفعل نقد كل ما هو وارد في موضوع المعرفة الانسانية ومقارعة المجهول بالاستدلال العقلي على وجود العالم. رغم أن الأستاذ جومرد يفصح بعد تحقيق فهرست ابي الريحان البيروني، بأن "بقية الكتب التي ورد ذكرها

---

[1] - الحمارنة صالح، ندوة لإحياء ذكرى الرازي، (الرازي في مراسلات البيروني و ابن سينا)، جامعة عين شمس، دط، 1976، ص 45 - 46.

[2] - بول كراوس، رسالة البيروني في فهرست كتب الرازي، باريس 1936، ص، 321. نقلا عن الحمارنة صالح، المرجع السابق، ص 46 - 47.

[3] - بينس سلمون، مذهب الذرة عند المسلمين (علاقته بمذاهب اليونان والهنود)، نق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة مصر، دط، 1946، ص 38.

في فهرست البيروني فأكثر تقدير أنها فقدت، ولم يعثر عليها. وإن وجد بعضها، فإنه لم ينشر بعد.."[1]

ولئن كنا لا نجزم هنا على خطى الطبيب والمفكر السوري صالح حمارنة، الذي يذكر لنا في دراسة قيمة جدا قدمها بخصوص أعمال مؤتمر عقد بشأن العلوم عند العرب المسلمين، متسائلا حول من هو هذا الصاحب؟ ! الذي أوصى البيروني، وطلب منه مراسلته بخصوص هذه الافادة بثبت لكتب الطبيب الرازي. إلا أن الدكتور حمارنة يفترض أن فهرست البيروني في كتب الرازي، كان عبارة عن رسالة موجزة أرسلت إلى شيخ فلاسفة الإسلام علي ابن سينا. وحسب ما يشير إليه صاحب الدراسة في الندوة التي ألقى كلمتها بمناسبة إحياء ذكرى الرازي، بعنوان: (الرازي في مراسلات البيروني و ابن سينا)، أين ذهب الى القول بأن قائمة كتب الرازي الطبيب، وردت في شكل مراسلات، جرت بين البيروني و ابن سينا. وأن أبرز الانتقادات التي وجهت للرازي كانت ضمن هذه المراسلات، والتي يقول عنها الأستاذ: "هذه المراسلات التي دارت حول أمور مختصة بالفلسفة وعلوم ما وراء الطبيعة، والفلك والرياضيات والطب وغيرها"[2]

كما يذكر الدكتور جزيل في دراسته الموسومة، بأبي بكر الرازي قراءة تحليلية لشخصيته، من خلال قائمة عناوين مؤلفاته، وهي مودعة في أبحاث المؤتمر المنعقد حول تاريخ العلوم عند العرب، يقول: "بأننا حين نتطرق لدراسة مثل هذه الشخصيات الاسلامية، فإننا نجد قوائم أخرى لكتب الرازي الطبيب، وضعها مؤرخون مسلمون في كتبهم مثل علي بن يوسف القفطي صاحب كتاب: (تاريخ الحكماء)، وحتى صاحب كتاب: (عيون الانباء في طبقات الأطباء) موفق الدين ابن أبي أصيبعة"[3]. فقد ترجم هذا الأخير لمؤلفات الرازي، والتي بلغ توصيفها عنده، ضعفي عدد عناوين كتب الطبيب التي ذكرها ابن النديم للرازي. ولهذا تأتي قراءة ابن أبي أصيبعة في مرتبة أدنى، إلى جانب ترجمة البيروني كما سبق الذكر.

ثم إن هذا الرأي الذي نقتبسه من الدكتور جزيل عبد الجبار، حول آليات قراءته البيبليوغرافية لشخصية الرازي، تكمن في طريقة توصيفه لأسماء كتبه ومؤلفاته. والتي نرى أنها تدفع البحث في أصول الفلسفة عند الرازي، نحو افق معرفي أوسع في تاريخ العلوم عند العرب المسلمين. وحيث ترنو هذه القراءة التحليلية، إلى الوقوف على مفترق تقاطع خطان معرفيان ينطلق كل واحد منهما من مرجعية فكرية مختلفة عن الأخرى. يقوم على أساسها وصف ثبت بعض أعمال هذا العالم الفيلسوف، والبحث فيما تضمنته سيرته العلمية والفلسفية.

---

[1] - يقول بدوي: أن هذه الأثار تم جمعها لتصبح كتابا من جزئين، لم يتم نشر إلا الجزء الأول، وقد حال انتحار المستشرق كراوس دون نشر الجزء الثاني هذا بالإضافة إلى رسالة الدكتوراه التي كان بصدد تقديمها لجامعة السوربون، وهي عبارة عن كتاب شامل عن فلسفة الرازي. ينظر: بدوي عبد الرحمن، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، دار سينا للنشر، ط 02، القاهرة، مصر، 1993، ص، 233.

[2] - الحمارنة صالح، ندوة لإحياء ذكرى الرازي، المرجع السابق، ص 46.

[3] - المرجع نفسه، ص 46.

ورغم أن أكثر مؤلفات علمائنا على غرار كتب الطبيب الرازي قد فقدت، ولم يعثر لها على أثر. إلا فيما ذكرت في أمهات المعاجم المخصصة لأدب السير والتراجم.

وحيث يؤكد الأستاذ عبد الجبار جزيل بأننا لا نعرف مضامينها إلا من خلال عناوينها. أما بالنسبة للكتب التي عثر عليها فقد تفرعت إلى أربع قوائم، وأن كل واحدة من هذه القوائم، كانت لها سمتها الخاصة. التي تبرز جانبا من جوانب الحكمة الانسانية في فكر طبيبنا الفيلسوف. ولعل ما ذهب إليه الباحث المغربي عزيز العظمة، في التأكيد على صحة الثبتين الموضوعين من طرف ابن النديم والبيروني تبدو أقرب إلى الصحة بالنسبة للتصنيف العام الذي اندرجت تحته مؤلفات الرازي، حيث تنقسم في رأيه لثلاثة أقسام كبرى هي: العقائد وعلوم الحكمة وعلم الأخلاق أو يما يطلق عليه (كتاب ذم الهوى)[1].

ويمكن في هذا السياق أن نشير إلى موقف الأستاذ، وهدفه من إيراد قوائم كتب الرازي عند قدماء مؤرخي الإسلام. والتي ظهر أن قائمة ابن النديم هي الأجدر بالاعتماد، من أجل ترتيب ثبت مؤلفات وأعمال الطبيب الرازي، واعتبر ذلك جائزا لاعتبارات موضوعية محضة. فهو يعتبر أولا: أن ابن النديم كان معاصرا للرازي. لذلك فإن اعتماده على قائمة ابن النديم يمثل محور دراسته الببليوغرافية، ونظرا لما وجده من مرافقة ابن النديم شبه التامة لمختلف أطوار الكتابة والتأليف في سيرة الرازي. كما أنه ضمَّن تلك العناوين التي وضعت لكتب الرازي في العلم الإلهي، من خلال ذكر ترتيبها بعد المؤلفات الطبية الرئيسية التي ألفها الرازي في حياته.

وجملة القول أن ابن النديم باعتباره قارئا للرازي، انتهى إلى واقع معرفي أحصى من خلاله ما يقارب مائة وثلاثة عشر (113) كتابًا، وثمان وعشرون (28) رسالة[2]. وهو ما ورد ذكره أيضا مع تباين في التصنيف والتوصيف البيليوغرافي، ونذكر من بينها كتاب: (عيون الأنباء في طبقات الأطباء) لابن أبي أصيبعة، وكتاب: (طبقات الأطباء والحكماء) لابن جلجل، بالإضافة إلى كتاب: (تاريخ الحكماء) للعلامة جمال الدين القفطي[1]. أما بالنسبة لكتابه: (في العلم الإلهي)، فيبدو أن التحقيق الذي قام به المستشرق بول كراوس في نسبته إلى الرازي، كان خلاصة اجماع هؤلاء المؤرخين المسلمين، كأبي الريحان البيروني وابن أبي أصيبعة، وصاعد الأندلسي في (طبقات الأمم)، بالإضافة إلى الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون في كتابه: (التلخيص)، الذين أشاروا إلى أن كتاب: (العلم الإلهي) هو إحدى المقالات الفيثاغورية الثلاثة، التي ألفها الطبيب الرازي. في حين يرى البعض الآخر أن الكتاب، وإن كان يميل في عمومه للفيثاغورية، فإنه ضمَّن في ثناياه آراء للحرانيين بالدرجة الأولى. ومن هؤلاء نذكر نجم الدين الكاتبي

[1] - العظمة عزيز، أبو بكر الرازي، المرجع السابق، ص 07. وأيضاً: بن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن، الطب الروحاني، تح: أبو هاجر البسيوني زغلول، مكتبة الثقافة الدينية، ط 01، القاهرة، مصر، 1986، ص 08.

[2] - ابن النديم، الفهرست، المصدر السابق، ص: 420. وأيضا: ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، المصدر السابق، ص 421 - 427.

القَزْوِيني (600 - 675 هـ)، الذي ذكر أن الرازي إلى جانب آرائه الميتافيزيقية بسط فلسفته في اللذات والآلام"[2].

حيث يتجلى المعطى الباطني لمفهوم العقل في الإسلام في أقصى حدوده التجريبية والمادية، باعتباره ناتج عن المرجعيات الثقافية، التي ارتكز عليها لمجابهة الفكر المتزمت منذ اللحظة الأولى. مما أدى إلى حدوث انقلابات ضدية تنامت اواصرها في بنية المخيال الثقافي، كالانسياق وراء الأطر المغلقة، مثل ما حدث في العالم الاسلامي حين حمل الناس على القول بخلق القرآن. "الامر الذي فسح المجال للامعقول العقلي لاحتلال مو اقع جديدة، داخل الثقافة العربية الإسلامية، وبالذات في الفلسفة، علاوة على المو اقع التي كان احتلها قبل"[3]. وهكذا يبقى الرازي ذلك الطبيب المتفلسف حسب هذا التصور، يتراوح مذهبيا بين تيارين هما التيار المادي والتيار الروحاني، واللذان يبدوان مرتبطين ظاهريا ولكنهما متعارضين ضمنيا.

2- الرازي وسمة الموسوعية كتبه ورسائله:

من أشهر كتبه المبسوطة على الاطلاق كتاب: (الجامع) أو (الحاوي في الطب)، وهو من أعظم مؤلفات الرازي في علم الطب وصناعته، وهو موسوعة طبية شاملة لكافة المعارف والعلوم الطبية المعروفة حتى عصره، والجامع كتاب يبرز فيه الرازي أقل أطباء عصره تمسكاً بآراء الطب القديم، وأكثر الكتب التي يبزّ الرازي فيها علماء الطب القديم وممارستهم إياه.

أ- كتاب الجامع (الحاوي في الطب):

ترجم كتاب الحاوي إلى اللاتينية الطبيب اليهودي فرج بن سالم الملقب ب: فيراجيوس (Salim ben Faraj) (1230م) بأمر من شارل الأول ملك صقلية (سنة 1279م)، واستبدلت بكلمة: الحاوي مقابلها باليونانية (Continens). وبالطبع تم نشر عدد كبير من هذا الكتاب في الفترة الأخيرة لما له من أهمية لاتزال تعجز الاطباء عن فهم كثير من المسائل المتعلقة الصحة الجسمانية والنفسانية للإنسان. طُبع المؤلف لأول مرة، في بريشيا بشمال إيطاليا سنة (891هـ/ 1486م). وهو أضخم كتاب طُبع بعد اختراع المطبعة مباشرة، كان مطبوعًا في خمس وعشرين (25) مجلدًا، ثم أُعيد طباعته عدة مرات في البندقية بإيطاليا في القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي (10هـ /16م). يذكر لنا المؤرخ ماكس مايرهوف (Max Meyerhof) - (1874 - 1945م) أنه في عام (1500م)، كان هناك خمس طبعات لكتاب الحاوي مع عشرات الطبعات الاخرى لأجزاء منه. وقد نشر ماكس

---

[1] - ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، المرجع نفسه، ص 273 – 277.

[2] - الرازي، الرسائل الفلسفية، المصدر السابق، ص 180.

[3] - الجابري، الجابري محمد عابد، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ج01، ط10، 2010، ص 151.

مايرهوف دراسة لفصل من الحاوي، بعنوان: (ثلاثة وثلاثون حالة سريرية للرازي)[1].

والكتاب في الحقيقة عبارة عن كشّاف موسوعي يبين عن خصائص منهج التفكير العلمي والفلسفي ويؤسس لمنهج التشخيص في الطب ومنهج التصنيف في الفلسفة. إذ لا تخرج خصائص هذا المنهج الفلسفي عن الممارسة العلمية لدى الطبيب الرازي، كما لا يشذ المذهب الفلسفي عن الاطار العام للفلسفة الأفلاطونية المحدثة في الفكر العربي الاسلامي، وبالخصوص ذلك الأثر الذي خلفه الفكر الحراني ودوره في نقل وترجمة الموروث الطبي اليوناني. وقد بيّن ذلك المستشرق بول كراوس، في مؤلفه الموسوم بـ: (رسائل فلسفية لأبي بكر لرازي)، وهو عبارة عن جزء أول تم تحقيقه، من قبل مجموعة من المؤلفين، في حين لا يزال الجزء الثاني قيد التحقيق.

ب- كتابيّ المنصوري والطب الروحاني:

ذكر محمد بن اسحق بن ابي النديم في تراجمه التي رتب فيها ثبت كتب الطبيب الرازي، قولا مفاده: "إنّ الرازي الطبيب كان ينتقل في البلدان، وبينه وبين منصوربن اسماعيل صداقة وألف له كتاب المنصوري"[2]. وقد ذهب أبو حاتم شيخ الإسماعيليين إلى القول بأن الرازي خصص كتاب المنصوري للطب الجسماني، بحيث جاء تبويبه في ذكر علل البدن، وبيان أدوائها. بينما كتاب الطب الروحاني، فاختصه الطبيب بإصلاح الأخلاق وتقويمها.

كما قدم الدكتور محمد عابد الجابري جملة من الملاحظات تلخص مضمون الكتاب، حيث يقول: "الطب الروحاني أو الاخلاق يبدو هنا فعلا قرين الطب الجسماني. ليس على صعيد العنوان وحسب بل على صعيد النموذج الابستمولوجي: يتجلى هذا على صعيد الوظيفة أولا: الطب الجسماني يعالج الجسم العليل، والأخلاق هنا موجهة لمعالجة النفس المريضة. ومن هنا صيغت عناوين فصول الكتاب بعبارات السلب: قمع، دفع، اطراح، صرف، وذلك باستثناء الفصل الأول (في فضل العقل ومدحه)، فقد جاءت صبغة عنوانه بالإيجاب. لأن العقل هو الطبيب"[3].

بالإضافة لذلك أورد أبو حاتم الاسماعيلي أقوالا كثيرة في شأن صاحب المؤلفين، يقول فيها بأن الرازي رجل متناقض مع نفسه، خاصة فيما تعلق بترتيب مسائل كلا الكتابين. حيث جعل موضوعهما عدلين لبعضهما البعض من حيث الطبيعة. وقد أشار عبد الحميد الكرماني في معرض حديثه عن هذا الكتاب، تبعا لما قاله شيخ الإسماعيلية الأول، بأن رسالته في الطب الروحاني مجزوءة من الطب الجسماني العام وهو ما لخصه لنا بول كرواس على هامش تحقيقه، حينما أشار بأن الطبيب الرازي قد وضع كتاب: (الطب الروحاني) إكمالاً للكتاب

[1] - بدوي عبد الرحمن، **الموسوعة الفلسفية**، المرجع السابق، ص 311.

[2] - ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، المرجع السابق، ص 310.

[3] - محمد عابد الجابري، **العقل الأخلاقي العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 01، 2001.، ص 294.

الأول والموسوم بـ: (المنصوري)، والكتاب المقصود بالنقد - هنا - عند الكرماني هو كتاب: (الطب الروحاني)[1].

وفي مناقشة أفردها المستشرق بول كراوس بخصوص صلة الرازي بالكرماني، فإننا نحاول تمثل التقاطعات المعرفية المنفتحة على تصورات النقد الموضوعي لميراث الطب الانساني، والتحرر من ربق الوثوق بكل ما تقدمه المعارف الانسانية السابقة. وربما على هذا الأساس نعتقد أن الكرماني، قد غاب عنه حسب كراوس، مراد ما يريد الرازي تمريره إلينا بخصوص هذه المسألة المنهجية. حيث يتبين لنا أن أبو حاتم الرازي الإسماعيلي، لم يكن نقده لكتاب الطب الروحاني موجها إلا للمستوى الشكلي خاصة ما تعلق بجوانبه البنائية. لأن الطب الروحاني في الأساس، ليس له موضوع مستقل عن الطب الجسماني. وهو ما غاب عن الكرماني، حينما أفرد نقده للكتاب. بحيث يقول استنادا لحاشية بول كراوس: "وإذا كان الخطأ مستمرا عليه فيما وسم به كتابه، لخلوه مما يكون به من ذكر الأمراض النفسية والأمور الميلة لها عديلا للكتاب المنصوري. الجامع لذكر الأعلال وأدويتها، فغير واقع ما اختص وقوعه من الانتفاع به وشموله، ولا فائدة في قراءته"[2].

وما يمكن أن نخلص إليه جملة عامة، هو أن كتاب: (الطب الروحاني)، كتاب معروف بطب النفس. وأن الغرض منه إصلاح أخلاقها، وهو يتكون من عشرين فصلا على حد ما أورد ابن أبي أصيبعة[3].

ج – كتاب سر الأسرار

في مجال الكيمياء وضع لنا الرازي كتابا نفيسا هو (كتاب سر الأسرار)، حيث ضمنه المنهاج الذي يسير عليه في إجراء تجاربه فكان يبتدئ بوصف المواد التي يشتغل بها، ثم يصف الأدوات والآلات التي يستعملها، ثم الطريقة التي يتبعها في تحضير الوصفات، كما سبق لنا ذكر هذه المناهج والطرق التجريبية التي كان يتبعها. غير أن الملفت للنظر في هذا الكتاب، هو أنه استطاع أن يصف أكثر من عشرين جهازاً، منها الزجاجي، ومنها المعدني وصفا دقيقا، على غرار ما نجده في الكتب الكيميائية الحديثة والمعاصرة، والتي تعتمد على التقنية المخبرية والدقة التجريبية. هذا بالإضافة إلى أن الكتاب يستعرض لنا قدرة الرازي على شرح الكيفيات التي يتم بها تركيب الأجهزة المعقدة، مع إفاضته في الشروح والتعليمات المتعلقة بتلك الكيفيات التقنية للتركيب والتفكيك[1].

د- كتاب الشكوك على فاضل الأطباء جالينوس (Claudius Galenus) (129 – 216م):

هذا الكتاب ظهر في القرن التاسع الميلادي وهو لأبي بكر الرازي يقصد فيه إفراد النقد المنهجي لبعض عناصر العلاج عند أحد اشهر أطباء اليونان، وأسماه: (الشكوك على فاضل الأطباء جالينوس) وهو مؤلف محقق من

---

[1] - ابن النديم، الفهرست، المرجع السابق، ص 357- 359

[2] - الرازي، الرسائل الفلسفية، المصدر السابق، ص 16

[3] - ابن أبي أصيبعة، عيون الانباء، المرجع السابق، ص 315

طرف الاستاذ لبيب عبد الغني، عن دار نشر الكتب والوثائق القومية بطهران وضمن فيه الطبيب الاسلامي انتقادات كثيرة حمل عليها جالينوس، والتي أوردها تبعا في عديد من كتبه ورسائله الطبية، حتى انها ما لم يورده شخصيا في كتاب الشكوك، لعدم اتساع المقام. وكثيرا ما أشار إلى أنه لا يريد لكتابه هذا أن يطول بكثرة الشكوك[2].

ولم يستثن الرازي في شكوكه العلمية آراء عدد من أبرز أطباء الحضارة اليونانية، وفي مقدمتهم أرسطو و إقليدس و ابرقلس، فضلا عن انتقاداته لكثير من السابقين عليه والمعاصرين له من مفكري الإسلام. وللرازي ردود على الجاحظ والمسمعي والناشئ الشيعي، والكعبي والكيال في الإمامة، و ابن جرير الطبيب؛ و أبي يعقوب الكندي، وأحمد بن الطيب السرخسي، وعلي بن شهيد البلخي. كما جرت مجادلات بينه وبين المسعودي، بالإضافة إلى ردوده على الثنوية والمنانية والاسماعيلية[3] (1).

وهكذا فقد كان يتوجه حكماء الطب والفلسفة في الحضارة الاسلامية، على خطى أبقراط الحكيم ومدرسته الاخلاقية، والتي استمرت في صورتها الرو اقية المعدلة بخطى ثابتة طوال القرون الهجرية اللاحقة، حتى بلغت شأوها مع المدرسة الجالينية الاسلامية - نسبة لجالينوس العرب الرازي الطبيب-، الذي طالما أبدى اعجابه بما خلفه اطباء وفلاسفة السابقون رغم اعتذاره لهم كلما هم بنقد آرائهم، لأن فحص المسائل والتدقيق في صحتها يستوجب على المشتغل بالطب والفلسفة نقد ما خلفه السابقون لحكمة كونية تجعل من المعرفة الانسانية معرفة تراكمية بناءة.

د - كتاب في المدة والخلاء والملاء:

نسب بعض رواة التراجم المتأخرين إلى الطبيب الرازي كتابا موسوما بـ: (القول في القدماء الخمسة)، فنسب بعض المؤرخين السلف القول بقدم البارئ والنفس والهيولى والمكان والزمان، إلى الصابئة الحر انيين. وهذا الرأي ورد في كتاب: (زاد المسافرين) للإسماعيلي ناصر خسروا على حد ما ذهب إليه بول كراوس. حيث أشار في القطعة الر ابعة والخامسة من الفصل الحادي عشر من كتاب: (العلم الإلهي). وأشار إليه أيضا المستشرق سلمون بينس، واللذان أبرزا في تحقيقهما أن هذا القول ظاهر وبيّن وهو واضح للعيان في فلسفة ناصر خسروا، الذي نقض قول الرازي في قوله بالقدماء على سنن مذهب الصابئة الحر انية، وعاب عليه ر أيه فيهما. ويرجح هنا بول كراوس أن كتاب: (القول في القدماء الخمسة)، المذكور في السيرة الفلسفية، ليس إلا كتاب: (العلم الإلهي).

---

[1] - طوقان قدري حافظ، مقام العقل عند العرب، المرجع السابق، ص 112 - 113

[2] - الرازي أبو بكر، الشكوك على جالينوس، المصدر السابق، ص 08 - 81.

[3] - الرازي أبو بكر، رسائل فلسفية، المصدر السابق، ص 190 - 191.

والدليل الذي يستند إليه المستشرق هنا، يعود في الأساس إلى ما وجده مبسوطا في كتاب: (تلخيص المحصل) لفخر الدين الرازي. حيث ذكر إمام متكلمي الإسلام المتأخرين قولا مثل هذا منسوبا إلى الحرنانيين: "أقول هذه الحكاية مذهبهم، وما يصلح لأن تكون دلائلهم عليه. ومال ابن زكريا الرازي الطبيب إلى ذلك المذهب، وعمل فيه كتابا موسوما، بالقول في القدماء الخمسة"[1].

ثم إنّ الكتاب نفسه، هو ما يسميه ابن القفطي، على حد ما افترضه سلمون بينس، كتاب: (في السيرة الفلسفية). والذي ورد فيه ذكر كتاب: (في الزمان والمكان والمدة والدهر والخلاء)، ثم قال عنه بينس معللا نسبة هذا الكتاب هذا الكتاب بأن هذا الرأي ذكره البيروني و ابن النديم[2]. وكذلك يمكن أن نستدل برأي المستشرق لويس ماسينيون الذي أشار إلى الكتاب، وقال برأي جاء عكس ما كان متداولا عند المستشرقين السابقين، فقد ذكر في كتابه: (الحلاج) أن المبادئ الخمسة القديمة عند الرازي هي: البارئ، والنفس الكلية، والهيولى والمكان بمعنى الملاء وأن الزمان يكافئ الخلاء. حيث يقول المفكر حسام الدين الألوسي، في هذا السياق: إنّ هذا الرأي يبقى محل نظر وتمحيص.

إذ يشير في هذا المنحى إلى ملاحظة مهمة هي: "أنه لا يعلم المصدر الذي اعتمد عليه ماسينيون، حتى وضع مثل ذلك التكافؤ اللامنطقي بين رسالته في السيرة وكتابه في الزمان والمكان، واستنادا إلى ما يمكن أن تبين عنه مقارنة قول الحرانيين، مع قول المتصوفة الحلوليين. وكذا آراء كل من الطبيب الرازي، والفيلسوف أبي البركات البغدادي، والرازي أبي حاتم المتكلم. لأن هذا الموقف يناقض سائر هذه المصادر المختلفة، والمعروف عنها اتباعها للمذهب الأفلاطوني الذي يقتصر فيه صاحبه على معنى كلي للزمان، وهو ما يتحرك بانتظام، وأن ما يتحرك بدأ؛ وأن الزمان بذلك بدأ مع العالم المصنوع[3].

وهناك كتب أخرى، ورد فيها اسم هذا الكتاب، خاصة ما نجده في النصوص التي أوردها سلمون، والذي اعتمد فيه على ترتيب ابن النديم أيضا، ووفق ترتيب الذي وضعه الرازي لمسالة القدماء الخمسة وهي: كتاب: (الفرق بين ابتداء المدة، وبين الحركات)، كتاب: (الهيولى الكبير)، كتاب: (العلم الإلهي على رأي أفلاطون)، كتاب: (في تفسير كتاب أفلوطرخس في تفسير طيماوس)، كتاب: (في إتمام كتاب أفلوطرخس)، كتاب: (علة جذب حجر المغناطيس للحديد)، وهذا الكتاب بالمناسبة يشمل رسالة طويلة عن الخلاء، كما أورد ابن ابي أصيبعة ذلك

[1] - الرازي، رسائل فلسفية، المصدر السابق، ص 191.
[2] - بينس سلمون، مذهب الذرة، المرجع السابق، ص 86.
[3] - حسام الدين الألوسي، الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم، مجلة عالم الفكر، مج 08، الكويت، 1977.

أيضاً[1].

وقد قمنا بتفصيل هذه المسألة في مقالتنا الموسومة بـ: (مفهوم القدم عند علماء الكلام وعلاقته بمشكلة الزمان) وهو مقال منشور بمجلة الحكمة (العدد الثامن)، الصادرة عن مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع؛ بالجزائر عام 2016[2].

أين تطرقنا إلى اشكالية مفهوم القدم عند علماء المسلمين وعلاقته بمشكلة الزمان في فلسفة الرازي، وحيث عرجنا في هذه المقالة على جملة البراهين والأدلة التي وردت بخصوص إثبات وجود قدماء خمسة عنده، وكيف أنها تمثل مبادئا للكيان، وأسبابا لحدوث العالم. وكيف أنها حسب الرازي، تمثل كيانات أو مبادئ قبلية تكفل للكون خاصيته الأنطولوجية، وفق عمليات احتواء التعدد في الحقيقة الواحدة. ويبدو لنا ترتيب القدماء دليلا ميتافيزيقيا يؤسس لعمليات فيض الخير المحض لدى مدرسة أطباء الفلاسفة في الحضارة الاسلامية. رغم أننا ننكر ما لهذه النظرية من أثر في تبلور مذهب الرازي الفلسفي، وكيف يمكن أن نربط تلك الرؤية الميتافيزيقية بالموروث الطبي لدى الرازي ودوره في استئناس فلسفة عقلانية ذات طابع نقدي، وقد بيّنا ذلك أيضا في دراسة أخرى بعنوان: (تشظيات روح الحضارة الانسانية في الاسلام ونموذج مدارس الطب والفلسفة) نشرت في (العدد العاشر) بمجلة الخلدونية للعلوم الانسانية والاجتماعية بجامعة - تيهرت - الجزائر عام 2016[3].

وحتى يتسنى لنا بعد ذلك ذكر بقية ما أورده ثقات التاريخ الاسلامي كابن النديم الذي بين لنا في كتابه الفهرست، مكانة الطبيب الرازي في مجال التأليف والتفلسف. عناوين كتبه الطبيعية المرتبة على التسلسل الذي وضعه الرازي نفسه. والتي منها: (كتاب على أحمد بن الطيب فيما ردّ به على جالينوس في أمر الطعم المرّ)، كتاب: (الرد على المسمعي المتكلم في رده على أصحاب الهيولى)، ثم كتاب: (الرد على جرير الطبيب فيما خالف فيه من أمر التوت الشامي بعقب البطيخ). كما أضاف ابن النديم إلى تصنيفه هذا ثبتا ترتيبيا مختصرا، ذكر فيه أنه بعد ترتيب الرسائل الموجزة، ورد كتاب للرازي بعنوان: (في نقض كتاب أنابوا إلى فرفوريوس في شرح مذاهب أرسطو طاليس في العلم الإلهي). كتاب: (في الخلاء والملاء وهما الزمان والمكان)، كتاب: (الصغير في العلم الإلهي) كتاب: (الهيولى المطلقة والجزئية)[4].

---

[1] - بينس سلمون، مذهب الذرة، المرجع السابق، ص 87.

[2] - رمضاني حسين، مفهوم القدم عند علماء الكلام وعلاقته بمشكلة الزمان، مجلة الحكمة، العدد الثامن، الجزائر، 2016، ص 143.

[3] - رمضاني حسين، تشظيات روح الحضارة الانسانية في الاسلام ونموذج مدارس الطب والفلسفة، مجلة الخلدونية، العدد10، تيارت، الجزائر، 2017، ص244.

[4] - ابن النديم، الفهرست، المرجع السابق، ص 309.

خاتمة: إن محاولة معرفة خصائص المذهب الفلسفي عند الطبيب الفيلسوف، ونظرته في بناء منظومة معرفية تجمع بين مقتضيات العلم ومشكلات الفلسفة، تستدعي منا إلقاء نظرة تأملية نقدية في بعض ما وقع بين أيدينا من مؤلفاته ورسائله الطبية أو الفلسفية؛ والتي بقيت محفوظة لنا، حيث إن تراث هذا الطبيب المفكر، لا يزال يطرح أكثر من تساؤل وجيه في ظل تلك الحملة الهوجاء التي شنت ضد شخصه وأعماله من طرف عديد من المناوئين والمتشددين في عصره، منكرين عليه اتصافه بالحكمة الفلسفية.

وقد أدى طمس آثاره الفلسفية عنوة في هذا السياق، وباسم الدين في كثير من المرات بسبب ذلك الشعور المرتاب الذي تنامى اتجاه العقل والعقلانية. مما أدى في الأخير إلى التنكر المجحف لفلسفته الميتافيزيقية، خاصة آراؤه في نظرية القدماء الخمسة. وكذلك هو حال كثير من فلاسفة وعلماء المسلمين، الذين لا تزال تثوي منجزاتهم العلمية والفلسفة تحت دثار التنكر والانكار. وعليه فليس علماء وفلاسفة الإسلام طائفة من الخلق منعزلة عما سواها، على حد تعبير المفكر مالك بن نبي، فهي قادرة على أن تكمل تطورها داخل وعاء مغلق، بل لأنه يمثل في رو اية الإنسانية، دورين يقوم بهما في وقت واحد، دوره ممثلا، ودوره شاهدا؛ ويضيف مالك بن نبي أن هذا الاشتراك المزدوج يفرض عليه واجب التوفيق بين حياته المادية والروحية وبين مصائر الانسانية[1].

ودون أن نجحف في القول، إذا ما نظرنا الى أهمية الإمكانات البشرية والمادية التي تتوفر عليها الامة الإسلامية عامة، وعلى غرار عديد من الباحثين المختصين في دراسة تاريخ العلوم في الحضارة الاسلامية، يمكننا رد ذلك التطور الفكري الذي عرفه العالم الإسلامي إلى جملة شروط مادية وروحية، تهيأت لها الظروف المناسبة التي أدت إلى ظهور مثل تلك الأنماط الجديدة، والمتطورة في الحياة الفكرية والثقافية للمسلمين، والتي كانت بدورها تستقطب جميع فئات الأمة الإسلامية التي بدأت في نظرنا دينية و انتهت حضارية.

على هذا الأساس يبدو لنا جليا كيف نشأت وتطورت هذه التيارات الفلسفية والعلمية النقدية، خاصة عند أطباء القرن الر ابع هجري،. حيث كانت تتطور باعتبارها عرضا من أعراض انتشار المذاهب الفلسفية الكبرى على غرار الأفلاطونية المحدثة، والتي كانت تنحو عنده نحوا ماديا مساوقة باتجاهاتها الميتافيزيقية البحتة، وكيف أنها تطورت أمبريقيا رغم أنها كانت فلسفة مفعمة بالغنوصية. وبالتالي فقد كان هذا التيار الفلسفي العلمي المستجد يتطور باستمرار على يد رعيل من مفكري وعلماء الإسلام في تلك المرحلة الأنوارية من الحضارة الاسلامية، رغم أن كثيرا منهم قد انتصر في بادئ الأمر لفكر سقراط و أفلاطون وأرسطو، ولكن بمنظور شبه مغاير اقتضى منهم ثقافيا أن يكونوا مستعدين لمجابهة اللامعقول بمنطق النقد الرصين.

المصادر والمراجع

- https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=394494.

تاريخ الاطلاع: الجمعة 19 نوفمبر 2021، الساعة 22:14، تيارت، الجزائر

- الالوسي حسام الدين ، الزمن في الفكر الديني والفلسفي القديم، مجلة عالم الفكر، مج 08، الكويت، 1977.

- الجابري محمد عابد، العقل الأخلاقي العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط 01، 2001.

- الجابري محمد عابد، تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ج01، ط10، 2010.

- الحمارنة صالح، ندوة لإحياء ذكرى الرازي، (الرازي في مراسلات البيروني و ابن سينا)، جامعة عين شمس، دط، 1976.

- الخطابي محمد العربي، موسوعة التراث الفكري العربي الإسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، ج 01، ط 01، 1998.

- الرازي أبو بكر، رسائل فلسفية (مضاف اليها قطعا من كتبه المفقودة)، تح: لجنة إحياء التراث العربي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 05 1982.

- العظمة عزيز، أبو بكر الرازي، دار رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط 01، 2001.

- بدوي عبد الرحمن، من تاريخ الإلحاد في الإسلام، دار سينا للنشر، ط 02، القاهرة، مصر، 1993.

- بدوي عبد الرحمن، موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 03، 1993.

- بن الجوزي جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن، الطب الروحاني، تح: أبو هاجر البسيوني زغلول، مكتبة الثقافة الدينية، ط 01، القاهرة، مصر، 1986.

- بينس سلمون، مذهب الذرة عند المسلمين (علاقته بمذاهب اليونان والهنود)، نق: محمد عبد الهادي أبو ريدة، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة مصر، دط، 1946.

- حربي خالد، سر صناعة الطب لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي، دار الثقافة العلمية، الاسكندرية، مصر، دط، دت.

- رمضاني حسين، تشظيات روح الحضارة الانسانية في الاسلام ونموذج مدارس الطب والفلسفة، مجلة الخلدونية، العدد10، تيارت، الجزائر، 2017.

- رمضاني حسين، مفهوم القدم عند علماء الكلام وعلاقته بمشكلة الزمان، مجلة الحكمة، العدد الثامن، الجزائر، 2016.

- طوقان قدري حافظ، مقام العقل عند العرب، دار القدس للطباعة والنشر، القاهرة، مصر، 2002.

- عبد اللطيف محمد العبد، أصول الفكر الفلسفي عند أبي بكر الرازي، دار النهضة، د ط، القاهرة، مصر، 1972.

- مصطفى عبد الرزاق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، دط، القاهرة، 1944.

- مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، ط1، 1986، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان.

[1] - مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، تر: عبد الصبور شاهين، ط1، 1986، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، ص 165.